# الحسين بن علي (عليهما السلام) في شعر مظفر النواب

## –دراسة تحليلية –

م.د. هاشم جعفر الحيدري

**المقدمة**

من المعروف والمسلم به أن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ( عليهما السلام ) هو نور يهتدي به ، وكل من تقرب إلى حضرته مادحا وذاكرا صفاته وسيرته ونسبه يشمله ذلك النور ويكون وساما يزين سيرة حياته، ويجعله من فصيل الخالدين الذين تذكر قصائدهم في المناسبات الدينية ، لذا نجد الشعراء والأدباء يتهافتون على مدح ابن بنت رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بمختلف اتجاهاتهم المذهبية و انتماءاتهم العقائدية.

فنجد الأدباء لاسيما الشعراء ينقسمون إلى قسمين الأول منهم على الرغم من حصولهم على المكسب المذكور أعلاه يهدفون بالحصول على مكسب مادي أيضا، أما الفريق الثاني فقد مدحوا الحسين ( عليه السلام ) إيمانا منهم بعدالة ثورته وما تحمل من أهداف إنسانية تسعى أن تسمو بالإنسان مهما كان لونه أو عقيدته أو انتماؤه العرقي ، وإقامة العدالة الاجتماعية التي جاء بها رسولنا الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم ) حين نجدهم يمدحونه في كل زمان ومكان لا يخافون لومه لائم مهما كانت النتائج سواء أكانت الحياة السياسية توافق توجهات الإمام الحسين ( عليه السلام ) أم تعارضه . والشاعر مظفر النواب نستطيع أن نصنفه من القسم الثاني ، وذلك لنشأته والبيت الذي ترعرع به وشرب من منبعه حب آل البيت (عليهم السلام) حتى وجد نفسه في أجواء تحب الإمام الحسين (عليه السلام) ويقيمون كل الشعائر في جميع المناسبات ، سواء أكانت تلك المناسبات في أيام شهر محرم أم صفر من كل عام ، وفي المناسبات الدينية في أيام السنة، . حيث نجد أن الشاعر مظفر النواب جعل من الإمام الحسين ( عليه السلام )قائدا وثائرا ومعلما وهاديا لتحقيق الكرامة الإنسانية والعيش الحر الكريم ، فراح يسير على خطاه غير مهتم ، ماذا سوف يلاقيه من متاعب ربما تؤدي به إلى الهلاك ، لا يرجو من ذلك سوى تحقيق العدالة الاجتماعية والوقوف أمام الظلم والاستبداد أسوة ببقية المناضلين الشرفاء الذين قدموا حملوا أرواحهم قربانا، وساروا في طريق لا رجعة فيه أما الشهادة أو تحقيق ما نذروا أنفسهم من اجله.

لقد تناول الباحثون ، شعراء أو كتاب جوانب عديدة من حياة الشاعر وسيرته الذاتية والنضالية وأسلوبه في الكتابة لكن نعتقد أنهم أي الدارسون قد أغفلوا أو تغافلوا عن ارتباط الشاعر مظفر النواب بالإمام الحسين (عليه السلام) كإمام وقائد ومناضل ورمز لا يضاهيه رمز على مر العصور فجعل من حياته وسيرته قبس يبدد له الظلمة بكل زواياها وجوانبها وما لاقاه من تعب وشقاء أثناء مسيرته النضالية .

قسم البحث إلى قسمين الأول تضمن سيرته منذ ولادته مرورا بمحاولة هروبه إلى روسيا ( الاتحاد السوفيتي سابقا) وحتى احتلال العراق . أما القسم الثاني تناول علاقته بالإمام الحسين (عليه السلام ) وكيف ومتى يتناوله في قصائده تارة يستجير به وتارة أخرى يتخذ من سيرته دعما وقوة في تحمل الصعاب .

نرجو إننا قد وفقنا بهذا البحث وتوصلنا إلى النتائج التي جهدنا من أجلها وليسامحنا القارئ الكريم إذا سقط منا شيء سهوا . والله من وراء القصد.

**القسم الأول :. حياته**

**اسمه ولقبه:**

هو مظفر بن عبد المجيـــــــــــد بن أحمد حسن بن أحمد إقبال بن معتمد النواب ، ويعود به النسب إلى القبائل العربيـــــــــة اليمنية التي سكنت العراق في مدة الفتح الإسلامي ويرجع نسبه إلى الإمام جعفر الصادق ( عليه السلام ) .هاجرت أسرته إلى الهند أثر اضطهاد الدولة العباسية لشيعة آل البيت (عليهم السلام) حيث استقرت في المقاطعات الشمالية [ البنجاب . لكنوا . كشمير ](١) ولنسبهم الرفيع ومكانتهم الدينية المرموقة اختيروا نوابا لتلك الولايات . ولما جاء الاستعمار البريطاني وسيطر على شبه الجزيرة الهندية ، وفي مقدمة الذين دافعوا عن موطنهم وبعد فشل ثورتهم أجبرهم المستعمر على الرحيل فاختاروا العراق ومن هنا جاء لقب العائلة وعرفوا به .أما والدته فهي السيدة وجيهة بنت علي ، وهي من مواليد بغداد جانب الرصافه (٢).

**ولادته ونشأته:**

ولد مظفر النواب سنة ١٩٣٤ في بغداد وبالتحديد في جانب الكرخ ، ببيت جده بولادة عسيرة ، (٣) لكن الممرضة الألمانية التي أشرفت عليها لعبت دورا الكبير في إنقاذ حياة الطفل وأمه ، وعندها أعطاه جده هذا الاسم ودونه في القرآن و هذه العادة المتبعة لدى العائلة . ويعود معنى هذا الاسم أي أنه ظفر بالحياة.

وعند بلوغه الثالثة من العمر أرسل إلى ( الملاية) لتعليمه قراءة القرآن الكريم(٤) .وبعدها ادخل إلى الروضة التي كانت قريبة من بيتهم ، وعند بلوغه السادسة من العمر ادخل إلى المدرسة الابتدائية . وفي الصف الثالث من المرحلة الابتدائية ظهر نبوغه الشعري عندما اكتشفه أستاذ اللغة العربية وعن طريق الصدفة حين أراد أن يجعل أشبه بمسابقه وجائزتها أن يذهب الفائز إلى البيت مبكرا ، فبدأ بمظفر النواب حين قال له المعلم أكمل البيت الأتي

قضينا ليلة في حفل عرس .....

لكن مظفر اعتقد أن المعلم يريد منه إعراب البيت فاستدرك المعلم وقال له ( أنا لا أريد إعراب البيت بل أن تكمله) فأجابه الطفل الموهوب :

كأنا جالسون في قرص شمس(٥)

فأعجب به كثيرا وتوقع له مستقبلا باهرا ، في الشعر وفي مجالات الحياة الأخرى.

وفي المرحلة المتوسطة والإعدادية شارك مظفر النواب في النشاطات الثقافية متمثلة بالصفحة الجدارية ، والمهرجانات الطلابية حين يكتب فيها وانشد شعرا حتى دخل الجامعة ( كلية الآداب . جامعة بغداد)وتخرج منها عام ١٩٥٥ .

كان والده عبد المجيد من مواليد ١٩١٠ منحدرا من عائلة ارستقراطية وغنية لا يعمل وإنما يعيش على ما ورثوه من أسلافه . ولكن تغير الظروف بازدياد النفقات اجبره الوالد على رهن القصر الذي يسكن فيه ، ولما لم يستطع تسديد الرهن اخذ منه القصر بعد وفاته ، حينها كان لهذا الحدث اثر في حياة مظفر النواب مما اضطر الأسرة أن تنتقل إلى بيت خالها الكائن في مدينة الكاظمية(٦) . حيث تحمل الشاعر المسؤولية كونه الابن الأكبر في العائلة. لأن العائلة بكامل أعضائها معتمدين عليه في توفير المستلزمات الضرورية للاستمرار في التعليم . و نفذت كل مدخراتهم العائلية من مصوغات كانت تحتفظ بها السيدة وجيهه(الأم) فراح الشاعر مظفر النواب يبحث عن عمل يناسبه لكن من دون جدوى .

حين قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، عين الشاعر في وزارة التربية بصفة مشرف عام (٧).عندها تنفست العائلة الصعداء ، و تأملت بأن حالتهم المادية سوف تتحسن وتكون أفضل مما كانت عليه ، بحصول رب البيت على عمل مما يوفر لهم مصدر مالي ثابت ينظم حياتهم ويستعينون به في توفير المستلزمات الضرورية للعيش الكريم الذي تعودوا عليه .

لم يستمر في العمل مدة طويلة فقد فصل من وظيفته ، بسبب تغير الظروف السياسية نتيجة تصارع القوى والتي اعتبرت سببا بنجاح أعداء ثورة ١٤ تموز بالانقلاب عليه . وعندها فصل الشاعر مظفر النواب مثله كبقية زملائه الذين وقفوا بوجه تغير نظام الحكم ومحاربته، ومن ثم أصبح اسمه ضمن الأسماء المطلوبة التي يجب إلقاء القبض عليها ومحاكمتها . مما استوجب عليه الهروب مع رفاقه خوفا من التصفيات الجسدية التي تعرض لها ، من وقع في قبضة السلطات الجديدة التي يقودها حزب البعث في تلك الحقبة ، لما عرف عنهم من قسوة في معاملة خصومهم .

**مظفر النواب ومحاولة هروبه إلى روسيا**

هرب الشاعر مظفر النواب إلى جنوب العراق ، وبالتحديد أي منطقة ( الأهوار) المسطحات المائية التي كان إحكام السيطرة عليها ضعيفا وذلك لبعدها عن مركز السلطات ولصعوبة الطبيعة الجغرافية فيها . لم يطل الشاعر فيها المكوث حيث قرر التسلل إلى إيران على أمل الوصول إلى روسيا . فقد أنتقل بمساعدة سكان الأهوار والوصول إلى مدينة الأهواز الإيرانية حينها استقبل من قبل بعض المعارف وقدمت له المساعدة ،لكنه لم يمكث فيها طويلاً ، فقد قرر مواصلة سفره باتجاه الحدود الروسية لكن حدث طارئ لم يكن في الحسبان ، حين ألقت القبض عليه السلطات الأمنية الإيرانية المتمثلة بجهاز الأمن السيئ الصيت ( السافاك) ليعاد إلى طهران ويتعرض إلى أصناف مختلفة من التعذيب النفسي والجسدي على أمل انتزاع معلومات منه ولما تبين لهم عكس ما كانوا يتوقعون قرروا، تسليمه إلى السلطات العراقية التي قامت بدورها تقديمه إلى محكمة عسكرية لتصدر بحقه حكما بالإعدام (٨) لكن توسط بعض المعارف من ذوي السلطة والنفوذ خفف حكم الإعدام إلى السجن المؤبد وينقـــــــــل إلى سجن( نقرة السلمان) (٩).

مكث في سجنه أكثر من أربع سنوات ، ونتيجة للقوانين المتبعة في تغير مكان اعتقال السجناء السياسيين ولاسيما الذين صدرت بحقهم أحكاما ثقيلة ، حيث تم نقل الشاعر مع قسم من زملائه إلى سجن الحلة الذي هو الآخر لا يقل عن سابقه قسوة وانعداما لأبسط الحقوق الإنسانية ليودع في قسم الثقيلة . والمشهور عن هذا القسم انه يسجن به كل من صدر بحقهم عقوبة الإعدام أو السجن المؤبد أومن كان يشكل خطرا على النظام (١٠) .

**الهروب من السجن**

فكر مظفر النواب بالهروب مع رفاقه السجناء وذلك بحفر نفق يؤدي بهم إلى خارج السجن .حيث نجحت المحاولة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ العراق المعاصر وأصبح لها دوي إعلامي كبير في جميع الأوساط الشعبية وإعجاب منقطع النظير ولاسيما من القوى المعارضة للسلطات الحاكمة. (١١)

بقي مظفر النواب مختبئاً في بغداد إلى أن صدر عفو عام عن جميع السجناء السياسيين . عندها سلم نفسه إلى السلطات بموجب ذلك العفو لتعيده إلى عمله حسب التعليمات ، لكن سرعان ما أعيد القبض عليه بنفس التهمة وصدر بحقه حكم بالإعدام ثانية لكن توسط له كثير من المحسوبين على النظام وعلى رأسهم علي صالح السعدي (الحاكم العسكري العام ) ليطلق سراحه على أن يغادر موطنه العراق ومنح لذلك جواز سفر ليسافر إلى لبنان بحجة متابعة طبع ديوانه في لبنان .(١٢)

**مظفر النواب والمهجر**

ومن هذه اللحظة يبدأ فصل جديد من حياة مظفر النواب فقد انتقل إلى لبنان ومكث فيها مدة من الزمن ثم إلى سافر إلى سورية لمتابعة نشاطاته الثقافية ولما أراد العودة إلى لبنان منع من الدخول إليها ثانية فأجبر على العودة إلى دمشق لتكون السبب المباشر ليقيم فيها إقامة دائمة ولتصبح سورية موطنه الثاني(١٣).

وتقديرا لمكانته الثقافية ومواقفه الوطنية والإنسانية فقد منح الإقامة الدائمة ومن بعد الجنسية السورية من قبل رئيس الجمهورية ويمنح جواز سفر سوري ليسهل عليه التنقل بين عواصم العالم ودولها حيث سافر إلى القاهرة ومن ثم إلى أرتيريا و سلطنة عمان(١٤) ومن ثم لينتقل إلى اليونان وليبيا من ثم سافر إلى فرنسا لإكمال دراساته العليا ، حيث أقام فيها مدة ثلاث سنوات وهي المدة التي تتطلبها لإعداد رسالة الماجستير التي قدمها إلى جامعة فانسان وحصل على شهادة ماجستير برسالته الموسومة( القوى الخفية في الإنسان)[باراسايكلوجي] تحت أشراف البروفسور فرانسوا شاتيليه. ومن ثم يعود إلى سوريا ثانية. وفي سنة ١٩٨٢ سافر إلى إيران وتنقل بين أروقة الجامعات الإيرانية وقابل بعض أساتذة الجامعات ودارت بينهم النقاشات العلمية ولاسيما فيما يتعلق بأدب المقاومة والثورة .(١٥).

**مظفر واحتلال العراق**

من الطبيعي أن معظم من هاجر وهجر من العراق كانت لديهم أمنية العودة إليه كون الحنين والعاطفة تحز بالنفس البشرية وتشعرها بالغربة وتنقاد لها كلما ابتعدت عن الوطن سواء أكانت راضية ومختارة لهذا الاغتراب أم مرغمة أي لا حول لها ولا قوة ، فالابتعاد عن الأهل والأحبة الذين يرتبط بهم اجتماعيا وعاطفيا ، ومربع الصبا والابتعاد عن مكان النشأة حيث تترك في نفس المغترب اللوعة والحسرة تنغص حياته أين ما حل وأي مكان ارتحل ليس له أهمية وخاليا من كل بهجة وسعادة مهما بلغت به آية الجمال والإبداع ففي البلد الأصلي الماء والهواء والتراب نكهة خاصة مشبعة في كل ما يملك من حواس وما تعطي من معان فالابتعاد عن الأوطان حالة خاصة ، يشعر بها من يحس بالوحدة على الرغم مما يحيط به من حشد كبير من الأحبة والمعارف ويكون مثله كنبتة اقتلعت من تربتها لتغرس في مكان يختلف عن منشأها الأصلي من حيث الهواء ودرجة الحرارة وعذوبة الماء الذي تسقى به ، فتبقى عاجزة عن العطاء مما هيأت لها من ظروف غير طبيعية ، فالغربة داء مستديم لا يشفى منه إلا في العودة إلى الوطن الأم ، فقد ترجم الشاعر مشاعره في قصائد كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر حين ينشد في مقطع من قصيدته قائلا :

فإن العراق قديما بهذا الغرام

أيها السكر كم قد سكرت بنا بالعراق

وأسكرتنا

نم بمرارة غربة العمر

فبعد العراق جهلنا ننام(١٦)

**ويقول أيضا :**

آه يا غربة النار

في بلد الثلج

ابق طويلا .... طويلا

دائما يذهبون إلى خارج الدهر ....

أما ذهابي فتيها (١٧)

**ويقول في مناسبة أخرى:**

إلام أنا وطن في العزلة

يا غرباء الناس أغص لأن الدمع يجرح أجفاني

في الحلم يطنيني الدمع وتأتي الأفراح كسلسة من ذهب من كنزك

يا ملك الأنهار بقلب بلادي

أبكيك بلاد الذبح كحانوت تعرض فيه ثياب الموتى (١٨)

ولما احتل العراق وسقط النظام في التاسع من ابريل عام ٢٠٠٣ استبشر الكثير وخاصة قسم ممن هم في المهجر وأهلوا فرحا ، وزفت التهاني وفرح الكثير لهذه المناسبة وهذا الحدث حين بعثت إلى الشاعر مظفر النواب التهنئة بهذه المناسبة لم يسعد بها بل تألم ، حيث اعتبره يوم حزين ، حين احتل بلده من قبل الفئة التي اختلف معهم عقائديا وهم السبب غير المباشر في نفيه وتشريده بل إصدار أحكام الإعدام بحقه أكثر من مرة . حينها لم يستجيب لدعواتهم

عندما وجهت له الدعوات الواحدة تلو الأخرى بالعودة إلى الوطن حينها قال قولته المشهورة ( وطن تحكمه الدكتاتورية أفضل من أن يحكمه المحتل)(١٩) إن هذا الموقف رفع من مكانة الشاعر الوطنية وجسد أفكاره عمليا واثبت عكس ما كانوا يدعون . لأن الشخوص المتمثلة بالحكام وأزلامهم تذهب ولا تعود مهما طال بها الزمن والوطن أي العراق باق . وأثبت أيضا بأن الوطنية لا تتجزأ ، حيث العيش بالغربة وذلتها هي اقل قسوة من ذلة المحتل . ومما يؤكد ذلك ما كان ينشده في كل الأمسيات الشعرية التي كان يقيمها في العواصم التي يدعى إليها .حين يقول(٢٠)

في تلك الساعة حيث تكون الأشياء بكاء المطلق

كنت على الناقة مغمورا بنجوم الليل الأبدية

أستقبل روح الصحراء

يا هذا البدوي الممعن بالهجرات

لقد عرف الشاعر مظفر النواب المحتل من قريب وعبر تجربته النضالية وتاريخه الأسود تجاه الدول الصغيرة والشعوب المستضعفة وما حربه في فيتنام في الستينات من القرن الماضي ووقوفه مع العائلات الحاكمة في المنطقة العربية التي تحكم وفق القوانين التي كانت متبعة في العصور الوسطى وتأيدهم منقطع النظير للدولة الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني وهذا يكفي أن يقف الشاعر ضد هذا الغزو الغاشم و الاحتلال الجائر الذي لم يجلب معه إلا الفرقة والتخلف وأثارة روح الطائفية والقضاء على ابسط المكتسبات التي كان يتمتع بها الشعب العراقي وهي وجود الدولة على رغم من ضعفها ووجود القانون على الرغم من قسوته و انتشار المحسوبية والمنسوبية .

نتيجة لخبرته السياسية ومعرفته بتجارب الشعوب فقد تنبأ قبل قدوم المحتل و توقع ماذا سيحل بالعراق حين يحكمه القادمون معه من أعوانه وماذا سيحل حين قال :.

قبضوا

أصبحوا الآن أرصدة وانتهوا كرجال

باعوا الحقل يا سادتي

والمغني بحبة قمح يهيم على وجهه

دفع العمر من أجلها وسقاها على البعد بالدمع

يا رب أحفظ بلادي وأطفالها

والأزقة والأمهات (٢١)

فكان قراره البقاء في سوريا على العودة إلى وطنه المحتل ومن موقعه راح يناضل في تحرير بلده العراق من أجل استعادة حريته واستقلاله فنجده يكتب في قصيدة يقول فيها:

مرة أخرى على شباكنا تبكي

ولا شيء سوى الريح

وحبات من الثلج على القلب

وحزن مثل أسواق العراق (٢٢)

،حين شارك في أول انتخابات قامت مع مجموعة من الكفاءات العلمية والأدبية المقيمة في سوريا من أجل اختيار حكومة وطنية تسد الفراغ السياسي وتسير شؤون البلد . لم يقف مع المتخلفين إيمانا منه أن الديمقراطية هي وسيلة الوصول إلى تحرير البلد ودحر المعتدي و صناديق الاقتراع وهي جزء من النضال السلمي الذي طالما دعا إليه وكتب من أجله ، وعندها أبرز أمام الجميع إصبعه المصبوغ بالحبر البنفسجي وأمام وسائل الإعلام ليفهم الناس عامةً والعراقيين خاصةً أن مرحلة جديدة قد بدأت وعلينا جميعا مسؤولية يجب أن نؤديها مهما بلغت التضحيات أسوة بالبلدان التي عانت وواجهت ظروف تشبه ما يمر به العراق الحبيب ، واجتازت محنة أوطانهم لتخرج أقوى واعز

**الإمام الحسين (عليه السلام) ملهم الثوار**

أن علاقة الشاعر مظفر النواب بالإمام الحسين (عليه السلام ) علاقة خاصة ومميزة تختلف كل الاختلاف عن بقية الأدباء والشعراء وحتى المؤرخين ،منذ نعومة أظفاره ولاسيما في مرحلة الطفولة شاهد حيث أن المواكب و المراسيم الحسينية تقام في البيت الذي ولد فيه ونشأ طيلة أيام السنة حيث كانت تحمل في طياتها كل أنواع التبجيل والاحترام والإقتداء ، وهذا ما عمل به الموالون والمحبون للإمام من شتى أصناف الناس من العلماء وغيرهم ، لذلك لم نجد أن ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) كبقية الأدباء وذلك بتعريف سيرته الذاتية ، والبكاء على ما حل به من مصائب ونكبات ،بل راح يؤكد نظرية ويدعمها بالبرهان وهي إن الحسين (عليه السلام ) عاش قبل وبعد زمانه ولازال حيا .

كما أكد بأن الحسين ( عليه السلام) لم يكن يوما من الأيام حكرا على أحد من الطوائف الإسلامية أو الديانات السماويـــــــــة ، وإنما الإمام الحسين ( عليه السلام) هو لكل بني البشر باختلاف ألوانهم وعقائدهم وانتماءاتهم العرقية ،أسوة بجده رسول الله (صل الله عليه واله وسلم ) . [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ](سورة الأنبياء أية ١٠٧)ونجده حين يقول في قصيدة بعنوان في الوقوف بين السماوات ورأس الحسين :

قد تعلمت منك الثبات

ولم يك أشمخ منك

وأنت تدوس عليك الخيول

**إلى أن يقول:**

أم ترى جنة الله

كانت تريد إليك الوصول

واقف وشجوني ببابك (٢٣)

فليس غريبا على الشاعر مظفر النواب أن لا يكون بعيدا عن هذه الأجواء وهو سليل العائلة المناضلة ضد كل أنواع الظلم والطغيان فلم تهادن أو تسامح المغتصب والمحتل وهي ورثت جينات العدل والإنصاف والشجاعة والنضال والوقوف بوجه المستعمر البريطاني ،امتدادا بالنسب الذي يربطهم بجدهم الأكبر الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وهو حفيد الإمام الحسين (عليه السلام). لذا تجد الشاعر مظفر النواب قد ورث المسؤولية وعرف الطريق وشخص الخصوم والمنهج الذي يسير عليه لمقاومتهم .حين أكد أن الإمام الحسين ( عليه السلام ) يأبى بكاء الرجال وعويلهم في الوقت الذي يتنصلون بما جاء به وضحى من أجله حين قال :

أنت لابد يا رب

تغفر للكفر إن كان حرا أبيا

وهيهات تغفر للمؤمنين العبيد

وذلك فهمي

وأنت ضماني على ما أقول

هاهو شعب العراق (٢٤)

إن المشاعر التي تنتاب كل من هو قريب من الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ( عليهم السلام) هي مزيج من الحكمة والعاطفة ، فلا يمكن أن نفصل بينهما ولاسيما عند أصحاب العقول الثاقبة من العلماء والمثقفين . فلو اخترنا الحكمة وحدها في تفسيرنا لمعرفة مبادئ ثورة الطف الخالدة لبخسنا حقها ولم نستطع أن نوصله إلى الأجيال بصورة صحيحة ودقيقة . أما إذا التجأنا إلى العاطفة سوف نسرع بإطفاء قبسها حين تؤدي بنا العاطفة إلى الغلو ومن ثم إلى الخرافات وعندها يكون مصيرها كبقية الملاحم الحقيقة أو حتى الخيالية.

لقد اختار الشاعر مظفر النواب في تعلقه بثورة الحسين بن علي (عليه السلام ) الحالة الأولى التي تنصهر به العاطفة لتخلق أشجان حزينة مع الحكمة، ويتزاوج حينها القلب مع العقل لتخرج المشاعر صافية خالية من كل غلو أو جفاء . وعندها استطاع أن يقدم ثورة الحسين ( عليه السلام ) بأفضل صورة ممكنه مما استطاع أن يكسب كل القلوب والعقول على اختلاف مشاربها وأهواءها

لقـــــــد اختار الطريق وهو يعلم كم هو صعب المسار وطويل المسافة فبقوة إيمانه عرف أنه سوف يوصله إلى نتيجتين إما العدالة الاجتماعية أو الموت لا ثالث لهما، فأطلق صوته منذ أن بدأ يكتب الشعر وهو في الثالثة عشرة من العمر حتى بلغ أشده عندما قام الانقلاب البعثي على ثورة ١٤تموز ١٩٥٨ وعرف أن الساكت عن الحق هو شيطان اخرس ( كما يقول المثل) . ولم تلن من عزمه المغريات والامتيازات التي وعد بها لاحقا(٢٥). في حين أن كثير من الشعراء الذين عاصروه كانوا يصطفون أمام أبواب الحكم أو ذوو السلطة والجاه كي يمدحونهم بما ليس فيهم من صفات ويطرون عليهم من المكرمات متبعين أسلوب المداحين من شعراء التكسب.

**الشاعر مظفر النواب وابتعاده عن الحزب:.**

عند نشأة الشاعر مظفر النواب ونبوغ وعيه السياسي اختار طريق النضال ضد كل حاكم مستبد بشعبه متخذا الدكتاتورية وسيلة في حكمه لاسيما في فترة الحكم الملكي أي قبل ثورة ١٤من تموز عام ١٩٥٨ وكان في تلك المرحلة الحزب الشيوعي اكبر الأحزاب وأكثرها انتشارا في الساحة العراقية ، حين راح يناضل ضد السلطة الحاكمة ومن يساندها من المنتفعين والانتهازيين لاسيما السفارات الأجنبية وعلى رأسها سفارة الحكومة البريطانية التي تسير البلد وسياساته الداخلية والخارجية فوجد في الحزب الشيوعي العراقي خير حزب يحقق ما يصبو إليه في تحقيق العدالة الاجتماعية واسترداد حقوق الطبقات المستضعفة والابتعاد بسياسة الحكومة عن الأحلاف التي تخدم الدول الكبرى .

ولما غادر العراق واختار المنفى القسري فضل أن يكون حرا غير مقيد بمفاهيم حزبية بعد أن ثبت فشلها في الوصول إلى الأهداف التي كان انتماء الشاعر مظفر النواب بين صفوفها وذلك لأسباب عديدة منها ضعف القيادة

مما جعلها تقع في أخطاء أدت إلى اعتقال المنتمين للحزب وتعذيبهم وإعدام عدد كبير منهم ، فوجد من الأصلح في هذه المرحلة أن يكون سيد نفسه ويختار الطريق المناسب في مشواره النضالي .

لقد وجد الشاعر نفسه أسيرا في النظرة العقائدية التي تميل إلى عدم الرضا على مواقف السياسية للحزب رابطا الشعر السياسي بخطاب يستوعب الظاهرة الاجتماعية والمحافل الشعبية بقصائد تحس بها التلاحم بين الشاعر ومعتقده مع أن قصائده جميعا تتميز بنظرة إنسانية وموضوعية تحمل في معانيها موضوعات عامة ومختلفة ربما تختلف عما يطلبه الحزب ضمن رؤيته الخاصة .

ليؤكد استقالته من الحزب ويبتعد عن تنظيماته ، كتب قصيدته لتكون وثيقة يثبت فيها انفصامه عنه ومن غير رجعة حين يقول(( ثلاث أمنيات على بوابة السنة الجديدة)):

لم يعد يذكرني منذ اختلفنا

غير قلبي والطريق

صار يبكي

كل شيء طعمه طعم الفراق

حينما لم يبق وجه الحزب وجه الناس

قد تم الطلاق

حينما ترتفع القامات لحنا أمميا

ثم لا يأتي العراق

قد تم الطلاق (٢٦)

هذا هو أول وأصعب قرار اتخذه حين نبذ الفكر الذي عاشه وناضل من اجله وتحمل الكثير من العناء والصعاب وحكم بالإعدام أكثر من مرة بسبب اعتناقه لهذا الفكر وعدم التخلي عنه . وهو قرار ليس بالسهل ولكنه لم يتجرد عن الأفكار الإنسانية التي في منهجه وإنما ابتعد عن التنظيم الحزبي و هي أولى الخطوات ليكون شاعرا حرا مقاوما يعبر عن أفكاره من دون العودة إلى سلسلة المراجع الحزبية لأخذ الإذن في كتابة قصيدة أو مقال وذلك حسب الضوابط الحزبية ، حينها بدأ مرحلة جديدة في حياته و كتب بطريقة تختلف عما ألفها سابقا مستلهما من الظرف الجديد الذي يحيط به مستمدا عطائه من ثورة الإمام الحسين ( عليه السلام)حين اتخذها دستورا ومنهجا ونقطة مضيئة في عتمة نفق الحياة الطويل الذي يعيشه ومن واكب لتطور كتاباته وقصائده يلحظ بوضوح حيويته وخصوصيته التي كانت سببا للتحرر من القيود الجامدة واستخدام الصور الجريئة والمعبرة والصادقة،وتوضيح الصورة من خلال القصيدة بأدق صورها حتى لو تطلب الأمر استعمال الكلمات النابية والعبارات القاسية التي تترك الأثر الكبير في النفوس سواء عند الجمهور أم عند الذي يقصد في الهجاء ومن ثم يبرأ الحزب مما يكتب (٢٧)، وعندها أخذ بالانفتاح على عالم الثقافة الجديدة المتطورة والغير مستهلكة ،ليس على الصعيد المحلي المتمثل بالعراق وما يعانيه بل شمل الحس القومي وقضيته المركزية فلسطين التي تعد السبب الأول لكل المصائب التي حلت بالعالم العربي والإسلامي وأوصلتنا إلى هذا الوضع السيئ والمشين فيؤكد قوله في قصيدة كتبها تحت عنوان . (في الرياح السيئة يعتمد القلب . الأساطيل ) حين يقول :

أيها الجندي

بوصلة لا تشير إلى القدس مشبوهة

حطموها على قحف أصحابها

اعتمدوا القلب

فالقلب يعرف مهما الريح الدنيئة سيئة جارفة(٢٨)

لم يدع مجالا للخوف في قلبه أو مخيلته طلق الدنيا بزيفها ورونقها ومغرياتها ، ولم يقف إلى هذا الحد فراح يحشد الشعوب المظلومة مبرزا كل المقومات والقيم التي يملكها كل العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها اعتمادا على المقولة ( أن لكل قوة كبيرة عامل ضعف ولكل امة ضعيفة عامل قوة لو علم الضعفاء مصدر قوتهم واستخدموها في نقطة ضعف القوة الكبيرة لكان النصر مؤكد)(٢٩) عندها نضم قصيدة (الأساطيل) التي يقول فيها :.

لا الحكومات ... لا الراجعون إلى الخلف

لا الأطلسي ولا الآخرون وإن ضحوا فلسفة

لا تخف ..

لا تخف .. إننا أمة

لو جهنم صبت على رأسها .. واقفة

ما حنا الدهر قامتها أبدا

إنما تنحني لتعين المقادير إن سقطت أن تقوم

تتم مهماتها الهادفة(٣٠)

**القسم الثاني :.**

**الرمزية في شعر مظفر النواب للإمام الحسين (عليه السلام):**

الشاعر مظفر النواب ، ببصيرته الثاقبة والمنهج الذي سلكه ، وهو يستمد من منهج أبي الثوار وسيدهم الإمام الحسين ( عليه السلام) قد وضع إصبعه على المكان الأكثر حساسية وتأثيرا في جوهر الإنسان العربي ومعدنه وكينونته، والمسلم في هذه المنطقة . فالشاعر مظفر النواب ليس ناقدا تقليديا بل إنسان عصري ، عرف كيف يستدل على الطريق ويمسك على حالته الآنية بمفهوم الزمان والمكان ، وبقدرته المتجلية في سبك الجمل الشعرية التي هي الأكثر رسوخا في العقل ضمن المفاهيم الدينية والوطنية الفطرية.

كثيرون يكتبون الشعر ، تقربا إلى موائد الحاكم لينالوا من عطاياه ويصبحوا من ندمائه ، لكن القلائل الذين يخطون دربهم مع المظلومين أين ما وجدوا . ومن هنا يكمن السبب الذي يجعلهم يصلون إلى أعماق الناس وإيقاظ مشاعرهم وتنوير بصائرهم باختلاف توجهاتهم الفكرية والعقائدية . والشاعر مظفر النواب من هؤلاء القلائل ، عرف عنه اخلاصه لشعره فقط ، ملتصقا مع من يتألم تحت وطأة الظلم . حيث قصائده تعبر عن المواقف السياسية في شحذ الهمم وإبراز موطن القوة والضعف لدى من يوجه لهم النصح . ولولا ذلك لكانت هي بمثابة بيانات فارغة . فهو لا يقول إلا مايفعل ولا يفعل إلا ما يقول ، فشخصيته لم تكن بالشخصية الاعتيادية حيث الذكاء في قراءة الواقع وما سوف تؤول إليها الأمور ، وهذا لم يأت من فراغ ، فعرفته الخطوب وعرفها . مما جعلت منه شخصية قوية و متمرسة

بالحياة . التي جاءته بالقوة والإصرار على التحدي ، فنتيجة ذلك أن أشارت بوصلته الشعرية ، نحو المواقف الإنسانية والاجتماعية والسياسية الحساسة والدقيقة حتى جعلت من حياته أشبه بأسطورة . (٣١)

تفتحت قريحته الشعرية فوجد في الإمام الحسين (عليه السلام ) قائدا ملهما ذا فكر محمدي يشمل كل ما يمت الحياة الكريمة من معاني العزة والكرامة بكافة أصنافها وتشعباتها وأطرها ، فوجد فيه ضالته حين لمس القمة بالشجاعة ، والقمة في الإباء ، والكرم والتضحية والإيثار وإغاثة من هو صاحب حاجة أو ملهوف . فسلك طريقه ونهج نهجه أملا في أن تبقى ثورة الحسين (عليه السلام) بكل ما تحويه وهاجة ينعم من نورها كل مستضعفين الأرض ، باختلاف ألوانهم وعقائدهم ومواطنهم كونهم تجمعهم الإنسانية ، أولا والقهر ثانيا . فقد نذر نفسه ليكون مبشرا لهذه الثورة الخالدة التي ما انكفئ نورها رغم مرور القرون على قيامها ، يستنجد بقائدها حين تدلهم الأمور فنجده يقول :

يا ملك الثوار ...

تعال بسيفك إن طواويس يزيد تبالغ في التيه

يا ملك الثوار أنا في حل فالبرق تشعب في رئتي وأدمنت النفرة

والقلب تعذر من فرط مراميه

تشدو والشد له ظل(٣٢)

**الشاعر مظفر النواب والإقتداء بالإمام الحسين (عليه السلام)**

إن الطريق المؤدي إلى الإقتداء بالإمام الحسين (عليه السلام ) يتطلب من سالكيه أن يتحلوا بالصبر والإرادة ونبذ الذات ومعرفة الهدف لأن الأعمال كلها تتوقف على النوايا الحسنة التي تتجلى في المقصد والمطلب ولا يمكن أن تتفق مع خط الإمام الحسين ( عليه السلام ) إذا انحرفت عن جادته .

إن أغلب الشعراء الباكين والمتباكين في إشاعة الفضاء المفعم بالعاطفة والمشاعر الجياشة يعرفون الإمام الحسين بن علي ( عليهما السلام) معرفة رمزية لا معرفة المعنى ، يعرفونه قائدا فذا وشريف النسب . صاحب موقف جريء تحدى به فرعون عصره وهو يزيد بن معاوية ،لكنهم لا يعرفونه أو يتجاهلون أنه أسطورة العلم والمعرفة الاهية واستغراقه في ذات الله وعبادته له التي تدعو إلى تطبيق مبادئ الإسلام الإنسانية مـــــن حيث المساواة والتساوي بالحقوق والواجبات . تجسدت في مواقفه وطوال حياته مقولة والده الإمام علي بن أبي طالب ( عليهما السلام) والتي يوصي

عامله على مصر في كتاب الى الأشتر النخعي حين يقول [ الناس صنفان إما أخ لك بالدين أو نظير لك في الخلق ] (٣٣).

هو إمام قام أو قعد وهو أيضا إمام كان حياً أو شهيداً ، ونعني في ذلك أنه القائد للعباد ورائد لكل من له بصيرة ويستمع القول ويتبع أحسنه وكل من يرغب جاهدا في العبور إلى ضفاف الحرية والكرامة والاعتناق من عبودية النفس والهوى وحب الدنيا . أكتشف الشاعر مظفر النواب مثله كمثل المفكرين والعلماء بأن الإمام الحسين ( عليه السلام) لا يقتصر على الجانب المأساوي والدماء المسكوبة على ثرى كربلاء ومن ثم سبي عياله ، واختزال تلك الشخصية العظيمة في حقبة زمنية لا تتعدى ساعات أو أيام ولا تقترب من فضاءات عمره الشريف الذي ناهز الستين عاما .

لقد عهدنا أن معظم الشعراء ينظرون إلى الإمام الحسين ( عليه السلام ) مجرد عبرة ( بفتح العين) وان ذرف الدموع هو كفيل بإحياء الحق وإزهاق الباطل .وهذه الحالة توحي العطف والتأسي وإبراز صفة الضعف وقلة الحيلة والاستعطاف ، متناسين أن القامة العملاقة التي يمتلكها الإمام الحسين ( عليه السلام) والمكانة التي يتحلى بها تقاس بعظم التضحيات التي قدمها من أجل المهمة العظيمة التي قام بها ونهض من أجلها ، هذا لا يتناسب مع من يستجدي العطف والرحمة ، وهذا لا ينسجم مع من أقام الدنيا بثورته ولم يقعدها إلى قيام يوم الدين ، ومن هنا اختلف الشاعر مظفر النواب مع بعض الشعراء.

لقد عرفه كمعرفة الفكر بعد طول دراسة وتمحيص ومقارنته ببقية الثوار المعاصرين ، فكان نتيجة ذلك أن نشأت بينهما رابطة المبادئ والقيم ، وهي أقوى الروابط التي لا انفصام فيها . حينها أصبح مثله الأعلى وملهمه الأول الذي تدوي كلمته عند كل ملمة تندب الشاعر مظفر النواب فليس غريبا حين يذكر الإمام الحسين (عليه السلام )في قصيدته التي تحمل عنوان(من الدفتر السري الخصوصي لإمام المغنين)حيث يقول:

وكم أنت رغم الوضوح خبئ

وكم أنت مثل جناح الفراشة في الحلم زاه بطيء

وكم أنت تعشق رأس الحسين

الذي فوق الرمح لا يستريح

تأبى الذوائب مذ ثبتتها الدماء على غرة أن تزيح

ومن ثبتته الدماء محال أن يزيح

دعوتك أنت المعلم إن كان علم(٣٤)

لقد سار على درب الحسين بن علي ( عليهما السلام) وسلك نهجه فقد جمعتهما المحن والظروف على الرغم من اختلاف الزمن ، فتولد قاسما مشتركا بينهما ،على رغم من اختلاف بعض الآراء والمفاهيم وتباعد القرون وتباين الأزمنة ، فكلاهما قارع الظالم ووقف أمام الظالم بمفرده على الرغم من الاختلال الكبير بين توازن القوى ،من أجل إقامة العدل وإحقاقه لا لمنفعة شخصية دنيئة بل من أجل زرع نبتة الخير والإنسانية التي ثمرتها العيش الكريم والتحرر من نظام العبودية والرق . وبحسب الموازين العسكرية أن نتيجة معركة الحسين ( عليه السلام ) خاسرة في حينها لكن ثبت للعالم بأنها ومنذ اللحظة الأولى انتصرت وأنبعث شعاعها إلى يومنا هذا .

لقد أثر هذا العامل تأثيرا كبيرا في طبيعة الشاعر ومنهجيته وحياته ، فأصبح أسلوبه في كتابة النصوص الشعرية انعكاس عما يعتقد به في تصوره لثورة الأمام الحسين ( عليه السلام )كون ثورته مستمرة لا للبكاء أو استجداء العطف . كما انه جسد المقولة المشهورة ( كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء ).

حينها اختلفت نظرته إلى الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام ) . فلم يتقرب إلى استجداء العواطف من اجل أظهار الظلم الذي الحق بالإمام وصحبه(عليه وصحبه السلام) ، وجعله عامل قوة وشموخ وعنفوان مؤكدا على ما يؤمن به وهو أن الحسين بن علي (عليهما السلام) بخروجه عن ظلم الطغاة وإعلان ثورته الخالدة ، لم يفكر لحظة واحدة بالحصول على عواطف شيعته و ذرف دموعهم ، بل حثهم على السير بنهجه وإتباع سيرته وسيرة أبيه وجده (صلى الله عليه وآله وسلم) في تطبيق رسالته الإنسانية بما تحتويه من تعاليم سماوية مقدسة. فنجده يقول :.

وأمقت من يشهرون النصوص سيوفا

ومن يكسرون النصوص

كلا الانحرافين الريح

وأمقت .. أمقت ..أمقت من يشهرون الحسين

لغير الوصول إلى الثورة

مثلما جوهر الأمر فيه وإلا جنوح (٣٥)

إلى أن يقول وهو يربط الماضي بالحاضر وبالمكان أيضا :

لعل الحسين إذا ما رأى طفلة في شوارع بيروت

تنهش من لحمها الشهوات

وثم شظايا من القصف فيها سينكر مأساته(٣٦)

لقد تجسد عدو الإمام الحسين بن علي ( عليهما السلام ) بالحكم الأموي المتمثل بمن يمثله وهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ، وبمدرسته تجسد نظام الظلم والانحراف عن القيم الإنسانية والسماوية التي جاءت لسعادة الإنسان كي يحيا عزيزا كريما حرا ، فأراد يزيد بن معاوية ومن سار على نهجه وعلى مذهبه ، أن يصادروا الناس حقوقهم التي منحهم الله إياها، فما كان من الحسين بن علي (عليهما السلام ) أن يقف وقفته الطبيعية ويعلن للملأ أن لهم حقوقاً يجب الدفاع عنها واستردادها من مغتصبيها . وقد انبرى لهذه المهمة وتحمل كل تبعاتها .فكان أن كسب الخلود والحياة إلى يومنا هذا وسيبقى طالما هناك شمس تشرق وليل ينجلي . وقد تمثل ذلك في قصيدته التي تحمل عنوان [لإمام المغنين] التي يقول فيها :

إلى هذا الحد أبيح لي القول

فإن العودة للإنسان وحمل السيف مع الفقراء

هو الله جميعا

وابتدأ اليوم الأول في الدنيا بمظاهرة(٣٧)

عرف الحسين (عليه السلام ) عدوه المتمثل بالظلم والاستبداد وإسترقاء العباد ،أن نظام يزيد بن معاوية هو عدوه، لم يتجسد بشخص الحاكم فقط ، بل الحكم وما تبعه من أنظمة وقوانين أسنها الحاكم ونفذها أعوانه وطبقها المنتفعون والمغلوبون على أمرهم ، حيث لا حول لهم بذلك ، ولم يمتلكوا تلك القوة والإرادة التي مصدرهما الشجاعة ونكران الذات . وبما أن نظام الظلم لازال قائما ، وهناك من يتبعه ويساعد على نشره والفوز بمنافعه . فقد أيقن مظفر النواب بأن نظام يزيد بن معاوية المتمثل بالدولة الأموية ، لازال قائما ولم يتغير رغم القرون وتبدل الأزمان ، حين وجد أمريكا هي مصدر لكل ظلم فراح يقارن بينها وبين دولة يزيد بن معاوية سائرا ومقتديا في الإمام الحسين (عليه السلام) حين وجد أن قاسما مشتركا بينهما يجمعهما وهو سلب حقوق العباد بالعيش بحرية وكرامة وسلام . حين تبين للشاعر

مظفر النواب أن ثورة الحسين بن علي (عليهما السلام ) ، بدأ الالتفاف عليها وتجريدها من محتواها وأهدافها السامية بوسائل وطرق متعددة ومختلفة تبعا لكل زمان ووفقا لكل مكان وتحت إمرة الشيطان الأكبر المتمثل بأمريكا . من هذا الوضع الشاذ يوحي لنا الشاعر مظفر النواب بأن الإنسانية مهددة ، وان لم يقف العالم أمام هذه الهجمة الشرسة سوف يتحول الأمر إلى سنة يتبعها الطغاة ويسير عليها كل جاهل ومارد ، وتنتقل من جيل إلى أخر . فلا فرق بين يزيد الماضي ويزيد الحاضر ، عندها اخذ يستنجد بالإمام الحسين (عليه السلام ) كقائد وثائر بفصيح العبارة معرفا بأن يزيد العصر هي أمريكا أم الإرهاب والعدوان وعدوة الشعوب حين نجده يصرح بقصيدته التي تحمل عنوان [طلقة ... ثم الحدث]:

ولما تبرد الأولى ولا أرتاح الحدث

يبتدي حي الحسين النار

يشتاق الحسين بن علي

خارجا بالدم من مرقده

أمريكا هي الكفر

وأمريكا ومن سوف هنا حسني

ففي سوف صراع لم يحن

أجلته استعجلني (٣٨)

ولم يقف إلى هذا الأمر فراح يقرن الحدث بالحدث ويدمج الصورة بالأخرى حتى يعطي الانطباع الكامل بأن الظلم الذي لحق بالإمام الحسين (عليه السلام) وأتباعه في غابر الزمان هو نفسه يحل بنا وبالإنسانية جمعاء بعدما توسع حزب أمريكا وكثر المنتمون إليه من قادة وتابعين ، فالشام مازالت شاماً وكربلاء باقية وسبايا آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) هم الآن اللاجئون . ليس الفلسطينيون فحسب وإنما كل من هجر من داره قسرا رغبة في تنفيذ أمر ظالم كان حاكما أو محكوما، فيرمز إلى ذلك بقصيدته التي تحمل عنوان (عروس السفائن)فيقول :.

وتمس الذقون ذنباي عقارب

في أوجه الخائفين وما زوروا

إلى أن يقول :

ومرت جنازة طفل

على حلمي بالعشي

يراد بها الشام

فقلت أثانية كربلاء

فقالوا من اللاجئين

كفرت والمخيم...

وكلاب الخليفة تنبح من حولها

يحملها راكضا والشواهد تعرق (٣٩)

**الإمام الحسين رمزا في شعر مظفر النواب**

لقد صرح الشاعر مظفر النواب في مواقف كثيرة وفي قصائده المشهورة ذاكرا اسم الأمام الحسين (عليه السلام) بصريح اللفظ والعبارة في الحالة التي تكون القصيدة تخلو من مفردات أو الكلام الذي يخدش الأدب أو الحياء ، وتدعو إلى نوع من الغزل الغير عذري أو في قصيدة يذكر سباب السوقي والمفردات التي ما ذكرت إلا وكان قانون الحرمة الدينية والأخلاقية يصاحبها مثل الخمرة ومشتقاتها وتأثيرها وما يترك من نشوة تنافي ما ثار من أجله الإمام الحسين (عليه السلام ) . لكننا نجده يرمز إليه من دون ذكر الاسم حيث يظهره في المعنى والإحساس أو يصرح بالمفردات . وهذا يدل على انه حين أتخذ الإمام الحسين (عليه السلام ) رمزا وقدوة فإنه بقي محافظا على قداسة ذلك الرمز من كل ما يدعو إلى انخفاض سموه و التقليل من أهميته، والشواهد كثيرة على ذلك لكننا اخترنا واحدة منها تحاشيا من الإطالة، حين يقول في قصيدته التي تحمل عنوان [ في الحانة القديمة]

أصغر شيء يسكرني في الخلق فكيف الإنسان ؟

سبحانك كل الأشياء رضيت سوى الذل

وان يوضع قلبي في قفص في بيت السلطان

ورضيت يكون نصيبي في الدنيا كنصيب الطير(٤٠)

عندما نكثر إمعانا بمعنى القصيدة ومحتواها، فسرعان ما نجد أن سرعة خط الإيقاع الشعري مع اختزال الزمن الذي عاشه الإمام الحسين (عليه السلام)والزمن الذي عاصره الشاعر مظفر النواب ، حين استلهم الأخير روح الثورة والتحدي ممن علمه معنى الحرية والكرامة ، راح يعلن رفضه أن يعيش تحت سقف السلطان الذي يصادر حريته ولو كان العيش بقفص من ذهب .

ولو نظرنا إلى دلالة تركيب القناع مقابل ، دلالة الإيقاع الزمني يتضح أن الحرية التي طالب بها الإمام الحسين ( عليه السلام) وحارب من أجلها هي نفسها التي كان الشاعر يهرب من بلد إلى أخر حفاظا عليها من أن تصادر . والصورة الثانية التي يجسدها الشاعر مظفر النواب في عبارة [ أن يوضع قلبي في قفص ، في بيت السلطان ] الإسلوب الذي اتبعته السلطة الأموية الغاشمة مع أبي الثوار ، حين بدأت تساومه على موقفه الرسالي بمبايعة رأس الكفر ومورد الإلحاد . وان هذا التلازم بين الموقفين والذين يصبان في معنى واحد قد أدى إلى العثور على مكامن القيم الأخلاقية والثقافية التي أوجدها الشاعر مظفر النواب بل أحياها . وقد وقف خلف هذه الصورة الإبداعية المتولدة طيف كبير من الجماهير الحرة والمثقفة في طول الوطن العربي وعرضه ، حين زرع فيهم القيم الدينية والثورية ورسخ فيهم العقائد الإنسانية الخالدة . ولقد أدت مثل هذه القصائد على إشعال وهج الحرية في نفوس كانت تعيش في عتمة الظلم والدكتاتورية ، والتي لم تجد من يوقد لها مشاعل الثورة على واقعها المظلم من الشعراء إلا ما ندر .

بدأ بإسلوب استعرض فيه واقعة كربلاء التي استشهد بها الإمام الحسين (عليه السلام )سنة ٦٠ الهجرة ، بكل فصولها المأساوية وبأسلوب قصصي جميل ، متخذا من الرمز عنوانا كبيرا حينما يقرن رأس الثورة كرأس الحسين (عليه السلام) وان يزيد متمثل بأمريكا وسطوتها وإسرائيل وعدوانها والحكام العرب ، الذي اصطفوا مع المعتدي ضد أصحاب الحق والعدل . كما هو الحال في معركة الطف . اختار كلمة (سباياك) ليذكر بها سبايا آل بيت رسول الله { صلى الله عليه وأله وسلم } حينما أخذوا السبايا إلى رأس الكفر بعد انتهاء المعركة وقسمت الغنائم بين المرتزقة .

نكتفي بهذه الشواهد في هذا البحث حيث أن ديوان الشاعر مظفر النواب يزخر بمثل هذه الأمثلة المتعلقة بالإمام الحسين{عليه السلام } ، خوفا من أن نقع في خطأ أو تكرار.فلو رجعنا إلى ديوان الشاعر مظفر النواب لوجدنا الكثير مما يؤكد قولنا وخاصة في قصيدته التي تحمل عنوان (من الدفتر السري الخصوصي لإمام المغنين) .

حفلت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ومن شاركه في ثورته (عليهم السلام ) بمعاجز كثيرة ، ومنها أننا نجد في كل زمان يخرج لفيف من الدعاة ، ومنهم الشعراء يذكرون الأمة بالثورة الخالدة ويصورون أحداثها ويرسخون مبادئها كأنها وقعت بالأمس القريب ، ومن المحبين والمؤمنين بالثورة و بقائدها الشاعر مظفر النواب . حين أخذ يذكر بها بطريقته الخاصة والمميزة والتي نجح من خلالها في إحداث الأثر في كل من يسمع قصائده وخاصة عند الأجيال التي لم تعرف الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، ولم تسمع بثورته وبوجه الخصوص اخوتنا من الشعب الفلسطيني المظلوم . فراح الكثير يسأل عن الحسين (عليه السلام) من حيث النسب والأثر ، ومنها يتعلم بأن من آل البيت ( عليهم السلام ) قد دافع عن ما يحل بهم من ظلم قبل قرون ، ولم يقتصر الأمر بهم بل بكل من تجرع كأس الظلم من قريب أو بعيد .

نجح الشاعر مظفر النواب في الولوج إلى قلوب الجماهير ومشاعرهم بذكر الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) وصياغة اسمه الشريف في قصائده إيمانا وحبا به ، وكذلك ليصبح اسمه كجوهرة العقد عندما يتحلى بها ومن غيرها ليس للعقـــــــد قيمة مادية أو معنوية وبتالي أدى ما عليه من واجب اتجاه من يؤمن به عقائديا وعاطفيا ففاز بكلا الحسنين .

من خلال ما تقدم يتضح لنا ، أن الشاعر مظفر النواب لم يكن ملحدا كم أشاع خصومه وأوهموا العامة به ،والغرض منه إبعادهم عن شعره وما يوحي إليه ، ولو صدق ما يدعون ، وهم لا يملكون الدليل ، لعزف عن ذكر أهداف ثورة الطف ومن القائم بها ، وما هي فصولها ونتائجها ، ويستعين بمفردات وأمثلة بعيدة عنها. وهو الذي يمتلك خزيناً كبيراً من مفردات اللغة ومن السهل أن تجعله يستعيض عنها . ومن ينتمي إلى عقيدة معينة أو فكر معين لا يكون وسيلة في نشرها أو يقوم بدعاية ايجابيه لها وإنما يبرز ما هو سلبي فيها إلا ما ندر . وذلك لم نلمسه من الشاعر مظفر النواب أو نجده في الدواوين الشعرية التي كتبها بمختلف مراحل حياته.

صحيح نجد في بعض قصائده الكلمات الجارحة والنابية(٤١) والتي تعبر عن مشاعره وحزنه الشديد والتي تنبع عن عصبية مفرطة اتجاه الحالة التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية ، التي ينتمي إليهما من تفكك ووهن بسبب حكامهما الجائرين ، مما يجد في نفسه في استعمال هذه المفردات بما يشعر به وهذا لا يمكن اعتباره كفر أو الخروج عن الدين أو الملة .

## الخاتمة

الشاعر مظفر النواب عراقي مناضل كبقية المناضلين الذين لم يكونوا تحت مظلة السلطة الحاكمة في العراق و قد سار مع زملائه عكس التيار أو الاتجاه الذي ترتئيه الفئة والطغمة التي حكمت العراق بعد الانقلاب الذي قاده حزب البعث سنة ١٩٦٣ ، ولم ينتم إلى ركب الذين طبلوا للسلطة والحزب حتى يكون من المقربين لرجالات الحكم وندمائهم . بل التزم بالخط الذي آمن به وناضل من اجله قبل قيام ثورة ١٤ من تموز ١٩٥٨ . وهو يعلم أنه سوف يخسر الكثير من المصالح المادية وربما يخسر حياته مقابل مواقفه الجريئة ، وبالتأكيد فقد فصل من عمله وصدر بحقه حكم الإعدام أكثر من مرة ، لكن المتتبع لسيرته يجد أنه قد كسب الكثير ولاسيما احترام كل من يحمل صفات إنسانية تدعو للدفاع عن المظلومين والمضطهدين والمشردين بمختلف انتمائهم الوطني والعقائدي ،الذين يؤمنون بالحرية والمساواة ويناضلون ضد كل مستعمر ومستبد مهما كان حجمه وتأثيره . ولو كان موقف الشاعر مطابقة لما ترغبه السلطة ،لكان حاله يختلف عما أشيع عنه وعن أفكاره ، ونحن نعلم أن الناس على دين ملوكهم لذا راحوا ينسبون له التهم جزافا حتى يقللوا من مصداقيته وأهميته في الوسط الشعبي والرسمي والأدبي . ومن ثم يكتب بهذا الاتجاه فأنه قد كسب رضا الحاكم وفاز بالمكافئة .

أن طبيعة البيت الذي نشأ به وترعرع الشاعر مظفر النواب كان بيتا مفعما بحب آل البيت ( عليهم السلام) ، وذو طابع حسيني مخلص وأصيل حيث تنطلق منه المواكب الحسينية في كل عام ، وتقام في باحاته المحاضرات الدينية التي تتحدث عن عدالة ثورة الإمام الحسين ( عليه السلام) وتبين مظلوميته ، وانتمائه الذي يعتبر من صلب النبي محمد ( صل الله عليه وآله وسلم ) . وعايش مثل هذا الجو المفعم بالإيمان الذي لا يمكن أن يتنكر، وخاصة إذا عايشه وهو في زمن الطفولة الذي تكون فيه ذاكرة الطفل ناصعة بيضاء يحفر فيها كل ما يكتب أو يملى عليه من خير أو شر كما يقول المثل الشعبي [ التعلم في الصغر كالنقش على الحجر] .

لقد كانت القصائد التي يهجو من خلالها الحكام أو رأس السلطة الدكتاتورية ، باستعمال المفردات الجارحة وفي بعض الأحيان السوقية هي بمثابة الزيت الذي يراق على النار ليزداد اتقادا ، فكانت السبب في هدر دم الشاعر مظفر النواب وعدم السماح له بزيارة البلدان العربية ( عدى الجمهورية العربية السورية) ليوحوا إلى النقاد بتشويه الحقائق وبإلصاق التهم جزافا على الشاعر وحياته الشخصية كي يشفوا غليلهم .

لقد حفلت الدواوين التي ألفها الشاعر مظفر النواب بقصائد كثيرة يرثي بها الإمام الحسين وصحبه ( عليهم السلام) ، بأجمل الصور وبأبهى المواقف بطريقة تجعل كل ذي نفس أبية أن لا يتأثر عاطفيا فقط وإنما يتوسم السير على منهجه والإقتداء به وبصحبه.

نحن لم ندع بأننا قد وافينا البحث حقه ، لكننا نلتمس العذر إذا وجد فيه شيء من النقص ونأمل ممن يعمل في حقل الأدب أن يرفدنا بما هو مفيد .

وخير ما نختتم به الآية الكريمة التي هي تعبر عما عجز العقل بالتعبير عنه حين قال الله جل جلاله :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وغفر لنا ورحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين )((صدق الله العلي العظيم)) (٤٢)

## المصادر


١. القرآن الكريم

٢. أشكال التعبير في شعر مظفر النواب . نوفل شاكر ألخاقاني . بغداد ٢٠١٣

٣. أوليات الحداثة في الشعر العراقي . غالي الخزعلي . بغداد ٢٠٠٨

٤. جريدة الزمان . الصادرة في لندن ليوم ١٩٩٩/٩/٢٣ . العدد ٤٣٥

٥. جريدة الشرق الأوسط . الصادرة في بيروت . العدد ٧٧٤٠ في تاريخ ١٩٩٩/١٠/٢٩ ليوم الجمعة . مقابلة صحفية أجراها الصحفي معن فياض

٦. تطور الشعر العراقي المعاصر / اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج . علي عباس علوان . وزارة الأعلام العراقية ١٩٧٥

٧. جريدة الشرق الأوسط . بيروت/لبنان ليوم الجمعة المصادف ١٩٩٩/١٠/٢٩

٨ديوان مظفر النواب . دراسة وتحقيق عصام عبد الفتاح . مصر ٢٠٠٩

٩. ديوان مظفر النواب . إعداد وتقديم مؤمن المحمدي . القاهرة ٢٠١١

١٠. الشعر العراقي الحديث / في معايير النقد الأكاديمي العربي . د.عباس ثابت حمود . ط١ /بغداد ٢٠١٠

١١. محاضرة السيد محمد حسين فضل الله . منطقة السيدة زينب (عليها السلام) دمشق . سوريا السبت /اذار ٢٠٠٤

١٢. المجموعة الشعرية الكاملة . مظفر النواب . بيروت ١٩٧٠

١٣. مظفر النواب حياته وشعره . باقر ياسين . دار الغدير . قم المقدسة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية سنة الطبع ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣

١٤. نهج البلاغة . جمع السيد شريف الرضي . شرح الشيخ محمد عبده . لبنان . ١٤٣٦هـ /٢٠١٥م

**الهوامش**

(١) مظفر النواب . حياته وشعره . باقر ياسين .٥ ١

(٢) المصدر نفسه . ص١٥

(٣) المصدر نفسه . ص ١٥. و مظفر النواب والتجديد في الشعر الشعبي . مشتاق عيدان الحلفي . ص٢٣

(٤)المصدر نفسه . ص ١٧ وتجديد في الشعر الشعبي . ص ٢٤

(٥) التجديد في الشعر الشعبي . مشتاق عيدان . ص ٢٥

(٦)المصدر نفسه . ص٢٦و كتاب أوليات الحداثة في الشعر الشعبي العراقي ، دراسة تحليلية تراثية . غالي الخزعلي بغداد ٢٠٠٨ ص ١٥

(٧) مظفر النواب حياته وشعره . باقر ياسين . ص٢٤

(٨)المصدر نفسه ص ٢٦

(٩) نقرة السلمان هو منخفض في صحراء المثنى قرب الحدود السعودية العراقية ، بنت فيه السلطات البريطانية عندما احتلت العراق سنة ١٩٢٠/١٩١٩ واتخذت منه معتقلا تزج به المناضلين السياسيين العراقيين وكل من لا يتفق معها في الاحتلال على غرار سجن باكو الذي اتخذه الأمريكان في البصرة عندما احتلوا العراق سنة ٢٠٠٣ ، ولما قامت الدولة العراقية وتحت ظل الحكومات المتعاقبة استمر الحال بهذا المعتقل ولم يلغى أو تتغير وظيفته .

(١٠) مظفر النواب . حياته وشعره . باقر ياسين ص٢٦

(١١)مظفر النواب والتجديد في الشعر الشعبي . مشتاق عيدان الحلفي . ص٢٨

( ١٢)المصدر نفسه ص٢٨

(١٣)ديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح .٧

(١٤) حين كانت ثورة الجبل الأخضر ضد النظام سعيد بن قابوس والد السلطان قابوس حاكم سلطنة عمان حيث قضي على الثورة بمساعدة الجيش الإيراني في عهد الشاه محمد رضا بلهوي بعد أن عجز الجيش البريطاني والعماني في القضاء عليها.

(١٥) ( الباحث) . حدثني الدكتور محسن القز ويني [ مؤسس جامعة أهل البيت . عليهم السلام ] حيث اصطحبه في زيارة الجامعات الإيرانية سواء كانت في العاصمة طهران أو في المدن الكبيرة الأخرى يتنقل بين أروقتها ، يجتمع مع أساتذتها يتباحث معهم عن هموم

الشعر والشعراء في تلك الحقبة، وشتان بين زيارته الأولى والتي دخلها من الأجل العبور إلى الاتحاد السوفيتي سابقا حين القي القبض عليه سنة ١٩٦٣ .

(١٦) ديوان مظفر النواب . عصام عبد الفتاح . ص ٩٧/٩٦

(١٧)المصدر نفسه . ص ١٨٤/١٨٣

(١٨)المصدر نفسه . ص ٤٠٧/٤٠٦ . المجموعة الشعرية الكاملة . مظفر النواب . ٤٧١

(١٩)ديوان مظفر النواب . تقديم مؤمن المحمدي . ص١٣و تحقيق عصام عبد الفتاح . ص٥٦

(٢٠) الشعر العراقي الحديث ١٩٨٠/١٩٤٥ معايير النقد الادبي . عباس ثابت حمود ٩٥ وتطور الشعر العراقي المعاصر . اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج . علي عباس علوان . وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٥ ص ١٢٥ وديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح ص ٣٩١و ص٣٣/٣٤

(٢١)ديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح . ص ١٠٥ .أوليات الحداثة في الشعر الشعبي العراقي . غالي الخزعلي . ١٦

(٢٢) المصدر نفسه . ٦٣

(٢٣) جريدة الزمان . لندن في ١٩٩٩/٩/٢٣ العدد ٤٣٥ و ديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح . ص٣٨

وجهت له الدعوات الرسمية وأخرها من أعلى سلطة في الهرم السياسي ( صدام حسين ) حين قدمت له المغريات حيث عرض عليه أن يكتب ما يشاء حين يعود إلى الوطن فكان جوابه ، أنني لا أملك مطلب بقدر ما هو مطالب الشعب الذي أنا منه ، إن حققتم له كرامته وإنسانيته فأني سأعود وليس لي مطالب أخرى .

(٢٤) ديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح . ص٣٨/٣٩

(٢٥) جريدة الشرق الأوسط . العدد ٧٦٤٠ ليوم الجمعة المصادف ١٩٩٩/١٠/٢٩ في حوار صحفي أجراه معن فياض .

(٢٦)ديوان مظفر النواب . عصام عبد الفتاح ص ٦٤

(٢٧) الشعر العراقي الحديث ١٩٨٠/١٩٤٥ في معايير النقد الاكاديمي العربي ص٢٧١

(٢٨) ديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح . ص ٨١

(٢٩) المحاضرة التي ألقاها السيد محمد حسين فضل الله ( قدس سره)( المحاضرة التي ألقيت من قبل سماحة السيد محمد حسين فضل الله ( قدس سره) في حسينية السيد محمد حسين فضل الله الكائنة في حي سيدة زينب ( عليها السلام ) في يوم السبت الموافق ١٤/ ٢/ ٢٠٠٤)

حين قال لكل قوي لابد أن تكن له نقطة ضعف ولكل ضعيف لابد أن تكن له نقطة قوة ولو عرف الضعيف كيف يستخدم قوته في نقطة ضعف القوي لتعادلت القوتان وأنتصر الضعيف على القوي

(٣٠) ديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح . ص٨٠

(٣١) أشكال التعبير في شعر مظفر النواب . نوفل شاكر الخاقاني . بغداد ٢٠١٣ ١٠٩

(٣٢) ديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح . ص ٣٩٧ و المجموعة الشعرية الكاملة . مظفر النواب ص٤٥٨

(٣٣) كتاب نهج البلاغة . للأمام علي (ع) شرح الشيخ محمد عبدة . بيروت ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م ص١٤٤

(٣٤)ديوان مظفر النواب . تحقيق عصام عبد الفتاح ص٣٦٢ والموسوعة الشعرية الكامله ص٤٠٨

(٣٥) المصدر نفسه ص ٣٦٣ و المصدر نفسه ص ٤٠٩

(٣٦) المصدر نفسه ص ٣٦٣ و المصدر نفسه ص ٤٠٩

(٣٧) المصدر نفسه ص٣٥٠ والمصدر نفسه ص ٣٩٢

(٣٨) المصدر نفسه ص ٢١٣/٢١٢

(٣٩) المصدر نفسه ص ٢٥٨ وديوان مظفر النواب . تحقيق مؤمن المحمدي . ١٩٨ والمجموعة الشعريه الكاملة ص ٢٦٦

(٤٠) المصدر نفسه ص ٢٨٦ و المصدر نفسه . ص ٥٠٠و المصدر نفسه ص ٣٠٥

(٤١)أشكال التعبير في شعر مظفر النواب . نوفل شاكر الخاقاني . بغداد ٢٠١٣ ص١٧٦و١٨٧و ١٩١

(٤٢) القرآن الكريم . سورة البقرة . اية ٢٨٦